

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[12] تسبّح وتحمّد الله عزّ وجلّ في عالمها الخاصّ، بالرغم من عدم معرفتنا لذلك بسبب محدودية علمنا وإطّلاعنا. من أجل تفصيل أكثر حول حمد وتسبّح الكائنات أجمع يراجع نهاية الآية (44) من سورة الإسراء. ويجدر الإنتباه إلى أنّ (ما) في جملة (سبّح) ما في السماوات) لها معنى واسع بحيث تشمل كلّ موجودات العالم، أعمّ من ذوي العقول والأحياء والجمادات(1). وبعد ذكر صفتين من صفات الذات الإلهية يعني (العزّة والحكمة) يتطرّق إلى (مالكيّته وتديبره، وقدرته في عالم الوجود) والتي هي من مستلزمات القدرة والحكمة، حيث يقول تعالى: (له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير). إنّ مالكية الله عزّ وجلّ لعالم الوجود ليست مالكية إعتبارية وتشريعية، إذ أنّها مالكية حقيقية وتكوينية. وهذا يعني أنّ الله سبحانه محيط بكلّ شيء، وأنّ جميع العالم في قبضته وقدرته وتحت إرادته وأوامره، لذا فقد جاء الحديث بعد هذا الكلام عن (الإحياء والإفناء) والقدرة على كلّ شيء. إلى هنا ذُكرت في الآيتين الآنفيتين ستّة أوصاف من صفاته الكريمة. الاختلاف بين "العزّة" و "القدرة" هو أنّ العزّة أكثر دلالة على تحطيم المقابل والقدرة تعني توفير الأسباب وإيجادها. وبناءً على هذا فإنّهما يعدّان وصفين مختلفين بالرغم من أنّهما مشتركان في أصل القدرة (يرجى ملاحظة ذلك). مسألة (الإحياء والإماتة) قد ذكرت في آيات عديدة في القرآن الكريم، وفي الواقع أنّهما من الموضوعات التي لم تتوضّح أسرارهما المعقّدة لأي شخص، كما _____ 1 - بالرغم من أنّ (سبّح) فعل متعدّدٍ بدون حرف جرّ حيث يقال مثلاً سبّحوه إلّا أنّّه هنا قد عدي باللام، ومن المحتمل أن يكون ذلك للتأكيد.